

بناء شخصية المرأة المسلمة من خلال سورة الأحزاب

د/ أميرة بنت علي الصاعدي

بحث مقدم للمؤتمر العالمي السادس للدراسات القرآنية

١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن منهج القرآن في بناء الإنسان فريد ومتميز ومتنوع ، فقد اهتم بجميع الفئات من نساء ورجال ، وشباب وفتيات ، وصغار وأجنة ، ليكون مجتمعاً مستقراً ، ولينشأ جيلاً قوياً ، متمسكاً بدينه ومعتزاً بهويته ، في كل زمان ومكان ، وممن أولاهم الإسلام بالرعاية والعناية الفائقة ، المرأة مربية الأجيال وصانعة الأبطال ، فنجد المنهج القرآني اهتم ببناء فكرها وشخصيتها ، وإني ليشرفني المشاركة في مؤتمر " منهج القرآن في بناء الإنسان " في محور : جوانب بناء الإنسان في القرآن ، ببحث عنوانه " بناء شخصية المرأة المسلمة من خلال سورة الأحزاب " .

أهداف البحث :

١- التعرف على منهج القرآن الكريم في بناء شخصية المرأة المسلمة .

٢- تعزيز دور المرأة المسلمة في بلاد الغرب من خلال تنمية شخصيتها الإيمانية والاجتماعية والفكرية .

٣- إبراز العناية والرعاية بشخصية المرأة المسلمة من خلال سورة الأحزاب .

أهمية البحث :

تبرز أهمية البحث من خلال التوجيهات الواردة في السورة وتخطب بها المرأة المسلمة ، وهي مساهمة قرآنية في تنمية وبناء المرأة لأداء دورها الرسالي في المجتمع ، وللتغلب على التحديات التي تواجهها في بلاد الغرب ، حيث أن الإيمان والالتزام بشرع الله يجنبها الفتن والشبهات ، والحجاب والعفاف يحفظها من الشهوات والانحراف ، وبناء شخصيتها الفكرية يساهم في اختيار قراراتها وفق منهج الله .

مشكلة البحث :

هل تواجه المرأة المسلمة في الغرب تحديات للحفاظ على هويتها وإيمانها ؟

كيف تستطيع المسلمة في بلاد الغرب مواجهة التحديات والتعامل مع المشكلات ؟

كيف تبني المسلمة في الغرب شخصيتها إيمانياً وفكرياً واجتماعياً ؟

هل ساهمت سورة الأحزاب في بناء شخصية المرأة في الغرب إيمانياً وفكرياً واجتماعياً ؟

منهجية البحث :

المنهج الاستقرائي : من خلال تتبع الآيات التي تتعلق بشخصية المرأة المسلمة والواردة في سورة الأحزاب .

المنهج التحليلي والاستنباطي : وتمثل في دراسة الآيات المختارة المتعلقة بشخصية المرأة المسلمة ، وبيان معناها ودلالاتها ، وإبراز الهدايات القرآنية منها .

ويتلخص هيكل البحث في المحاور التالية :

التمهيد : وفيه مقاصد وموضوعات سورة الأحزاب ، ومعالم الشخصية الإسلامية .

المحور الأول : شخصية المرأة الإيمانية . (الأمر بالإيمان والتكاليف الشرعية)

المحور الثاني : شخصية المرأة الاجتماعية . (الأمر بالحجاب وآداب الخطاب مع الرجال)

المحور الثالث : شخصية المرأة الفكرية . (الاختيار والإرادة وفق شرع الله)

التمهيد :

يحرص الإسلام على بناء شخصية سوية متزنة للفرد المسلم ، وذلك من خلال الأحكام والتوجيهات والآداب الإسلامية ، ومما لا شك فيه أن الإيمان الحق يدفع إلى السلوك المستقيم ، وأن أسس بناء الشخصية الإسلامية تُستنبط من الكتاب والسنة ، وأهمُّ أساس في البناء هو القدوة الحسنة ، حيث يبدأ المسلم في تكوين شخصيته الإسلامية سلوكاً وتطبيقاً من القرآن الكريم ومنهج رسوله ﷺ ، وحين ترسم لنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ملامح الشخصية الإسلامية . وقد حرص الإسلام على تحرير المسلم من العادات والتقاليد الباطلة ، وإخضاعه للتصور الإسلامي الجديد . ومن سور القرآن الكريم التي عيّنت بتنظيم المجتمع المسلم ، واهتمت كثيراً ببناء المجتمع الإسلامي ، سورة الأحزاب المدنية التي تناولت الجانب التشريعي للحياة الإسلامية ، وخاصة أمر المرأة والأسرة ، فشرعت الأحكام بما يكفل للمجتمع السعادة والهناء ، وأبطلت بعض التقاليد والعادات الموروثة ، وطهرت من رواسب المجتمع الجاهلي ، ومحور السورة الأساسي : رسم ملامح الشخصية المسلمة في الجماعة والدولة .

وبما أن السورة ساهمت في هدم كثير من العادات الجاهلية ، التي كانت مستحكمة في النفوس ، وتغييرها يحتاج إلى صبر ووقت ، بدأت السورة بلقب النبوة " يا أيها النبي " وفي ذلك إشارة إلى أن ما يقوم به من الإصلاح والتبليغ لم يكن من عند نفسه ابتداءً وانتهاءً ، حتى يكون له الخيار في القيام به أو الترك أو التردد في التغيير^(١) . " وهي من السور المحكمة التي ليس فيها ناسخ ولا منسوخ ، فأياتها جميعها محكمة ، بمعنى أن جميع ما قرره من أحكام لم يرفع ولم يبطل ولم يجل غيره محله"^(٢) .

(١) انظر : بعض معالم المجتمع من سورة الأحزاب / عبد الوهاب لطف الدلمي ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ، عام ١٣٩٧ هـ ،

ص ٧ .

(٢) سورة الأحزاب عرض وتفسير د. مصطفى زيد ، دار الفكر العربي - ط ١٣٨٩ هـ ، ص ١١ .

أهم مقاصد ومواضيع سورة الأحزاب^(١) :

١. إبطال بعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة في الجاهلية ، مثل : الظهار والتبني .

٢. إنشاء أحكام جديدة مثل : حرمة أزواج النبي ﷺ .

٣. بيان الآداب التي يجب على المسلمين التحلي بها عند دخول بيت النبي ﷺ .

٤. وجوب الالتزام بالحجاب الذي فرضه الله على نساء النبي ﷺ ونساء المؤمنين عامة ، وأدب الخطاب مع الرجال .

وكل هذه المقاصد والأهداف تحتاج إليها بيئة المدينة ، ويتطلبها استقرار الأمر للمؤمنين فيها^(٢).

ومما تميزت به سورة الأحزاب العناية بالمرأة المسلمة من جميع الجوانب : الإيمانية والاجتماعية والفكرية ، مما يؤهلها للقيام بدورها الإصلاحي في الأسرة والمجتمع ، ومما يدل على أهمية رعاية هذا الدور التشاركي ، بالضوابط الشرعية التي تجنبها الفتن والشهوات ، وتحفظها من الشبهات المعاصرة ، وهذا ما سيتم بيانه في هذا البحث من خلال هذه السورة المباركة .

معالم الشخصية الإسلامية^(٢) :

في زمن اختلاط المفاهيم ، وانتكاس الفطر والأخلاق ، لابد من تحديد معالم الشخصية الإسلامية ، التي يعول عليها في إصلاح المجتمعات ، ومن أهم معالمها التي لا تخفى ، أنها صبغة إلهية ، فالإسلام هو صبغة الله ، التي تصبغ المسلم بصبغة خاصة ، تظهر في عقيدته وعبادته وسلوكه ، وتميزه عن غيره من البشر ، يقول قتادة رحمه الله "إن اليهود تصبغ أبناءهم يهوداً ، وإن النصارى تصبغ أبناءهم نصارى ، وإن صبغة الله الإسلام"^(٤) ، والعبادة هي الطريق الذي يحقق هذه الصبغة الإلهية ، والعبادة المقصود بها معناها العام : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وأن يعبد الله على بصيرة وعلم ، وبعزة وفخر ، ويتمسك بالحق ويثبت عليه ، لينعم بالرضا والاطمئنان النفسي ، ويدرك غاية الحياة الدنيا فلا تغره ولا تفتنه ، وإذا فُتن عاد وآب إلى الله ، فتلك هي الشخصية المسلمة المتميزة بدينها وعقيدتها .

^(١) انظر : دراسة النظم القرآني في سورة الأحزاب ، حسن عثمان يوسف عدوان ، نسخة الكترونية ص ٢٥-٢٦ .

^(٢) انظر : سورة الأحزاب عرض وتفسير ص ١١ .

^(٣) انظر : معالم الشخصية الإسلامية / د عمر الأشقر ، نسخة الكترونية .

^(٤) الجامع في أحكام القرآن للقرطبي ١٤٤/٢ .

المحور الأول : شخصية المرأة الإيمانية . (الأمر بالإيمان والتكاليف الشرعية)

يعد الاهتمام بالمرأة المسلمة من أولويات الإسلام ، باعتبار أن المرأة هي شق المجتمع ، وأساس الأسرة ، لذا جاء النص القرآني في قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل ٩٧) فكل مؤمن يعمل صالحا فله الحياة الطيبة في الدنيا وله الجزاء في الآخرة بأحسن ما عمل، يستوي في هذا الأمر الذكور والإناث .

وجاء التوجيه النبوي الكريم " إنما النساء شقائق الرجال " ^(١) ، قال في النهاية: " أي نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع كأنهن شقائقهم منهم، ولأنَّ حواء خُلقت من آدم عليه السلام " ^(٢) ، وقال الخطابي: " وفيه من الفقه إثبات القياس، وإلحاق حكم النظر بنظيره، فإن الخطاب إذا ورد بلفظ المذكر، كان خطاباً للنساء إلا مواضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيها " ^(٣)

وبما أنهن شقائق الرجال فيجب تعليمهن وتعلمهن ، وتهيئة نفوسهن لذلك ، والعناية بقلوبهن لتتلقين الأحكام الشرعية باستسلام ورضى ، وتغذية الجانب الإيماني لديهن ، بما يحقق لهن اليقين وحلاوة الإيمان ، ولعل ما تتمتع به المرأة من عاطفة جياشة ، من أهم عوامل تقوية الإيمان ، لذا كان الاهتمام بطرق هذا الجانب ، ولو تأملنا سورة الأحزاب المدنية ، نجد العناية بشخصية المرأة الإيمانية ، من خلال التوجيهات والأوامر والنواهي التي اشتملت عليها السورة ، وتلخص في ما يلي :

١- الأمر بالتقوى : جاء الأمر بالتقوى في سورة الأحزاب في عدة مواضع :

في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (الأحزاب ١) ، وفي قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } (الأحزاب ٧٠) ، والخطاب في الآية يشمل النساء والرجال ، وفيه الأمر بتقوى الله ، وهو توجيه إيماني يعزز في نفس المؤمن رقابة الله والخوف من عقابه ، فلا يفعل ما يغضب الله ، ويجتنب نواهيهِ ، ويلتزم بشرعه ويطبق أحكامه ، وحين تستشعر المؤمنة هذا التوجيه الرباني ، تنطلق في حياتها العملية على أساس متين ، وتشكل مراقبة الله لها الدرع الواقية من الفتن والشهوات ، وتتحصن بإيمانها ، رغم

^(١) رواه أبو داود في سننه (ح ٢٣٧) ، والترمذي (١١٣) ، وصححه الألباني في الصَّحِيحَة: (٢٨٦٣)

^(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٩٢/٢) ، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

^(٣) معالم السنن للخطابي (٧٩/١) ، المطبعة العلمية - حلب ، ط ١ / ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .

انفتاح الحياة حولها ، وغياب الرقيب من أهلها ، فيرتفع لديها الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، بل يتعدى ذلك إلى الصدق في القول ، والعدل في العمل ، فتميز بخلقها وسلوكها ، فتكون قدوة عملية ، يهتدي بها أقوام ، ويحترمها أقوام ، فتكون بركة على أهلها .

٢- العناية بالقلب واعتقاده : قال تعالى (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) (الأحزاب ٤) ، بما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والخطاب يشمل النساء والرجال ، ولفظ (رجل) خرج مخرج الغالب ، فالآية تشمل الجنسين ، ومعناها باختصار : " لا يجتمع الكفر والإيمان بالله تعالى في قلب ، كما لا يجتمع قلبان في جوف ؛ فالمعنى : لا يجتمع اعتقادان متغايران في قلب."^(١) وبما أن القلب ينبغي أن يكون محل عناية العبد ، وهو محل الخطرات والوسوس ومكان الكفر والإيمان ، وموضع الإصرار والإنابة ، فمعنى الآية : " أنه لا يجتمع في القلب الكفر والإيمان ، والهدى والضلال ، والإنابة والإصرار ، وهذا نفي لكل ما توهمه أحد في ذلك من حقيقة أو مجاز ، والله أعلم."^(٢)

وهذا التوجيه الرباني يثبت قلب المؤمنة حين تضطرب بها الحياة ، وتدهمها الأهواء ، وتختلط عليها المفاهيم ، حين تواجه فئات شتى وأوساط متباينة وأهواء متناقضة ، حين تفترق بها السبل وتتشعب بها مجالات الحياة ، هنا تأتي هذه الآية لتثبت جناحها وتقوي إيمانها وتصحح فكرها ومسارها ، فلا يجتمع طريق الكفر والإيمان ، ولا الهدى والضلال ، وتتضح لديها الرؤية ، لتسير في الطريق المستقيم بطمأنينة وسكينة . ولا بد من منهج واحد في الحياة تستقي منه القيم والمبادئ والأخلاق والتصورات ، فصاحبة العقيدة الصحيحة تنطلق في حياتها الاجتماعية والعملية من هذا التصور الصحيح .

٣- الأمر بالتكاليف الشرعية (الصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله) : قال تعالى (وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (الأحزاب ٣٣) ، لما جاء الأمر بالتقوى عموماً في الآيات السابقة ، جاء الأمر بجزئيات التقوى وهو الأمر بالطاعة خصوصاً الصلاة والزكاة ، وهما أكبر الطاعات وأجل العبادات ، وفيهما تزكية للنفس والمال ، والتزام المؤمنة بالصلاة الخاشعة ، تنهاها عن الفحشاء والمنكر ، والصلاة هي زاد المسلم الروحي ، وهي صلة العبد بربه ، وهي واحة يرتاح فيها المؤمن من عناء الحياة ، وراحة يرتاح فيه القلب لقربه من الله ، وهي قرّة عين المسلم ، بل هي روحه ونوره في

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٧/١٤) دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط ٢ / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

(٢) انظر المرجع السابق .

الظلمات . وعلى قدر محافظة المسلمة على صلاحها ، على قدر تعظيمها لله عز وجل ، وعلى قدر الإسلام في نفسها وحياتها ، ثم جاء الأمر بالزكاة ، تطهيراً للنفس من الشح ، وتربية على البذل ، وتدريباً تربوياً على العطاء .
ثم جاء التوجيه الرباني بطاعة الله ورسوله ، تأكيداً على الالتزام بالطاعات ، وبيان لأهميتها ، قال النسفي : "خص الصلاة والزكاة بالأمر؛ ثم عم بجميع الطاعات؛ تفضيلاً لهما؛ لأن من واطب عليهما جرتاه إلى ما وراءهما" (١) .

٤- الحث على الانصاف بكمال الأعمال وجمال الأخلاق: قال تعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الأحزاب ٣٥) . يعد هذا التوجيه منهج حياة جامع شامل لأصول الشريعة ، ويحدد مقومات الشخصية المسلمة ، وهي بمثابة بناء متكامل ، إذا التزمت المسلمة به ، أثمرت شخصية ذات إيمان صحيح ومعتقد سليم وخلق حسن ، ومن خلال تأمل هذه الآيات نجد أنها ركزت على القضايا الأساسية في تكوين الشخصية المسلمة ، وقد بدأت الآية الكريمة بإن التي "تفيد التوكيد للشيء، فالتوكيد في هذه الآية تقرير للوعد الذي يأتي ذكره بعد عرض الأوصاف العشر، واعتناء به، وتثبيته في نفوس الجماعة، وإغراء لها بالنهوض، كما أن فيه تكرمًا للمذكورين من حيث عناية الحق -جل جلاله- بوعدهم" (٢)

وهذه المقومات والقيم التي اشتملت عليها الآية ، يشترك فيها النساء والرجال ، لأن الجنسين عليهما مسئولية بناء الدولة المسلمة ، قال ابن عاشور " فالمقصود من أصحاب هذه الأوصاف المذكورة النساء ، وأما ذكر الرجال فلإشارة إلى أن الصنفين في هذه الشرائع سواء ليعلموا أن الشريعة لا تختص بالرجال لا كما كان معظم شريعة التوراة خاصا بالرجال إلا الأحكام التي لا تتصور في غير النساء ، فشرعية الإسلام بعكس ذلك ، الأصل في شرائعها أن تعم الرجال والنساء إلا ما نص على تخصيصه بأحد الصنفين ، ولعل بهذه الآية وأمثالها تقرر أصل التسوية فأغنى عن التنبيه عليه في معظم أقوال القرآن والسنة" (٣) ، والقيم التي أكدت عليها هذه الآية :

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٣/٣٠) ، دار الكلم الطيب - بيروت ، ط ١/١٤١٩ هـ - ١٩٩٣ م

(٢)

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢/٢٠) ، الدار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤ م .

الإسلام : وهو الانقياد والتسليم الظاهر لحكم الله ، ومعناه الشرعي هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة إيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، وبدأ به لأنه يعم الإيمان وعمل الجوارح ، وبدأ أولاً بالانقياد الظاهر ، ثم بالتصديق ، ثم بالأوصاف التي بعدها تندرج في الإسلام وهو الانقياد ، وفي الإيمان وهو التصديق ، ثم ختمها بخلة المراقبة وهي ذكر الله كثيراً .^(١)

ويلزم من وصف المسلمات والمؤمنات : انقياد المرأة ظاهراً وباطناً لحكم الله تعالى ، فلا يقبل الإيمان بدون العمل الصالح ، وهاتان الصفتان هما أساس الشريعة ويدخل فيها ما بعدها من الصفات ، ثم جاء الوصف ب (القانتات) والقنوت : الطاعة ، وقيل : لزوم الطاعة مع الخضوع ، أي دوامها ولزومها^(٢) ، وهذا يدل على أهمية مداومة الطاعات لما لها أثر على الشخصية والسلوك ، ثم جاء الوصف ب (الصادقات) الصدق في القول والعمل ، وأن تفي بما عاهدت الله عليه ، والمرأة المسلمة إذا تحلت بالصدق مع خالقها ومع الناس ، نالت احتراماً وتقديراً ، ووجدت توفيقاً في حياتها وتسديداً ، وهذا مشاهد ومجرب في الواقع ، فالصادقون ناجون وناجحون .

ثم جاء الوصف ب (الصابرات) : " والصبر محمود في ذاته لدلالته على قوة العزيمة ، ولكن المقصود هنا هو تحمل المشاق في أمور الدين وتحمل المكاره في الذب عن الحوزة الإسلامية"^(٣) ، ويدخل فيه الصبر على الطاعات والعبادات وعن الشهوات ، والمرأة وخاصة في بلاد الغرب تحتاج إلى التحلي بقوة الصبر ، لتقيم دينها رغم كره الكارهين ، وسخرية المستهزئين ، وتحتاج إلى الصبر عن الشهوات في بلد الانفتاح والحريات ، والصبر على أذى الناس ، وعلى الفتن والابتلاءات ، وعلى كل مشاق الحياة وصعوباتها .

ثم جاء الوصف ب (الخاشعات) : والخشوع يحمل معنى الخضوع والتذلل لله ، ومخلة القلب وله أثر سلوكي يظهر على الجوارح ، تعظيماً لحرمات الله ، وامتنالاً لأمر الله ، وانقياداً لحكم الله ، وبكاء من خشية الله ، قال ابن القيم - رحمه الله - : وَأَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الْخُشُوعَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَتَمَرَّتُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وهي تظهره "^(٤) . والخاشعين " هم المتواضعين لله تعالى بقلوبهم وجوارحهم ، وقيل : الذين لا يعرفون من عن أيمانهم وشمائلهم إذا كانوا في الصلاة^(٥) ، وأهل الخشوع هم أهل

^(١) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية (٤/٣٨٥) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١٤٢٢/١ هـ ، التفسير الكبير

لأبي حيان الأندلسي (٧/٢٣٢) ، دار إحياء التراث العربي .

^(٢) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (٥/٤٧) ، دار الهداية .

^(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢/٢٠ .

^(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٥٢١) ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ج ٣ / ١٤١٦ هـ .

^(٥) تفسير الألوسي (٢٢/٢١) ، دار إحياء التراث العربي .

الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ، فهنيئاً للخاشعين والخاشعات.

ثم جاء الوصف بـ (المتصدقات) : والمتصدقين أي المنفقين أموالهم في رضى الله بغاية الجهد من نفوسهم فرضاً وتطوعاً سرا وعلائية ، وبما أرشد إليه الإظهار أيضاً تصديقا لخشوعهم^(١) .

والصدقة تطهر النفس من الشح ، وبما يتراحم الناس ، ودلالة التكافل ، ووفاء بحق المال ، وشكر للمنعم ، والمتصدقات هن الباذلات لأموالهن ولا يكنزونها لشدة محبتهن إياها ، ومن تتصف بهذه الصفة تشعر بالفقراء والمحتاجين ، وتمتلك الشخصية المعطاءة الباذلة ، وتساهم في تكافل المجتمع .

ثم جاء الوصف بـ (الصائمات) : "والصوم عبادة عظيمة فلذلك خصصت بالذكر مع أن الفرض منه مشمول للإسلام في قوله (إن المسلمين والمسلمات) وفي صوم النافلة ، فالتصريح بذكر الصوم تنويه به"^(٢) ، وجاء في الحديث (الصيام جنة)^(٣) ، قال ابن عبد البر : الجنة : الوقاية والستر عن النار ؛ وحسبك بهذا فضلا للصائم ."^(٤) ، وأيضاً الصوم ستر ووقاية من المعاصي والآثام ، لأنه إمساك عن الشهوات ، والنار حفت بالشهوات .

ثم جاء الوصف بـ (والحافظين فروجهم والحافظات) حفظ الفرج من الزنا وما يؤدي إليه وعمما لا يحل ، " وحفظ الفروج أريد به حفظها عما ورد الشرع بحفظها عنه ، وقد اندرج في هذا جميع أحكام النكاح وما يتفرع عنها وما هو وسيلة لها"^(٥) . وحفظ الفروج أهم وسيلة لتطهير الفرد والأمة من دنس الأخلاق ، "والتعبير في هذه الآية علق الفرج بالحفظ، وذلك لكونه مركب الشهوة الغالبة. فحفظه صفة تصون بها من الزنا الذي يهتك الأعراض، ويجلب الأمراض، ويسبب مقت الله، ويضيع النسل، ويسقط هيبة مرتكبه. فنعوذ بالله من ذلك"^(٦) .

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٣٥٢/١٥) ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/٢٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٧٠/٢) ح ١٧٩٥ ، ومسلم في صحيحه ح ١١٥١ .

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (٥٤/١٩) ، وزارة عموم الأوقاف الإسلامية - المغرب ، ١٣٨٧ هـ ،

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/٢٢) .

(٦) معالم المجتمع الإسلامي في سورة الأحزاب

وختم الصفات بقوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) الذكر بالقلب واللسان ، ومدار الكثرة العرف عند جمع، قال مجاهد : "لا يكتب الرجل من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله تعالى قائماً وقاعدا ومضطجعاً"^(١). وفي أغلب المواضع قرن الذكر بالكثرة ، بخلاف الإكثار من الأعمال البدنية ، فإنه غير ممكن ، لاشتغال الإنسان بتحصيل أكمله وشربه ، فيمنعه ذلك من الاشتغال بالصلاة ، بينما يسهل عليه ذكر الله وهو شارب واكل وماش ، ولأن جميع الأعمال بذكر الله تعالى وهي النية"^(٢) .

ووعده الله كل من اتصف بهذه الصفات التي تمثل مقومات للشخصية المسلمة بالمغفرة والأجر العظيم ، وتنوعت هذه الصفات ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر، وما بين أفعال الخير، وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان، فجازاهم على عملهم بالمغفرة لذنوبهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات"^(٣).

المحور الثاني : شخصية المرأة الاجتماعية . (الأمر بالحجاب وأدب الخطاب مع الرجال)

أولاً : الأمر بالحجاب :

بالنظر إلى سورة الأحزاب ، نجد أنها قررت أصول وقواعد وضوابط في قضية الحجاب ، وبتضافر النصوص واجتماع الأدلة ، نستخلص من السورة ، منهج المرأة المسلمة في حجابها وخطابها مع الرجال ، والأمور المعينة على ذلك ، كقرارها في بيتها ، وعدم التبرج ، وتزودها من العبادات التي تسهم في ثبات أمرها ، وطهارة قلبها . والإسلام دين حماية ووقاية وطهارة ، يربي أبنائه على البعد عن مواطن الشبهات ومسببات الأمراض ، ويقيها من الداء قبل وقوعه ، فالوقاية أنجع وأفضل من العلاج ، والبعد عن مواطن الشبهات مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية ، والاحتراز عن مواقع التهم ، أقوى في حماية الأمة وبناءها وقوتها ومصدر عزتها ، ومن المعلوم طبعاً ، والمغروس فطرة ، ميل الرجال إلى النساء والعكس ، ولكن الشريعة هذبت الفطر وضبطتها ، وحافظت على طهارة القلوب وحمتها ، بما يضمن سلامتها وبعدها عن مواطن الريب والشبهات"^(٤) .

وقد وردت في سورة الأحزاب آيات تحث المرأة المسلمة على الحجاب والعفاف ، ومنها :

(١) تفسير الألوسي (٢٢/٢١)

(٢) انظر : مفاتيح الغيب للرازي (٢٥/١٦٩) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت (ط ٣/١٤٢٠ هـ)

(٣) تفسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان للسعدي (١/٦٦٤) ، مؤسسة الرسالة (ط ١/١٤٢٠ هـ)

(٤) زبدة الآداب من آية الحجاب / د أميرة بنت علي الصاعدي ص ٢٤ ، بحث محكم .

قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ، ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" (الأحزاب ٥٩).

وهي أول آية نزلت في الحجاب ، وتعد من الآداب والشرائع التي تصلح الفرد والمجتمع ، وخصت المرأة بالخطاب لأنها لبنة في المجتمع ، وصلاحتها صلاح المجتمع ، ومن أعظم ما يميز المجتمعات ويرقى بها ، عفة نساءها ، وطهارة بيوتها ، ونقاء نفوسها ، ولا يتحقق ذلك إلا بحجاب ساتر . " وهذه الآية هي التي تسمى آية الحجاب، فأمر الله نبيه، أن يأمر النساء عموماً، ويبدأ بزوجاته وبناته، لأنهن أكد من غيرهن، ولأن الأمر لغيره ينبغي أن يبدأ بأهله" (١)

والآية فيها الأمر بالحجاب ، وماهية الحجاب ، وعلّة الأمر ، وتوجيه وحث على التوبة .

جاء بيان ماهية الحجاب في قوله تعالى (من جلابيبهن) :

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: " لما نزلت هذه الآية (يدنين عليهن من جلابيبهن) ، خرج نساء الأنصار كأن علي رؤوسهن الغربان من الأكسية" (٢). قال ابن القيم " شبهت الخمر في سوادها بالغراب" (٣).

وعن عائشة قالت: "رحم الله تعالى نساء الأنصار لما نزلت (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك) الآية ، شققن مروطهن فاعتجرن بها فصلين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما على رؤوسهن الغربان " وفي رواية «أخذن أزهرن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها» (٤).

الجلابيب جمع جلباب ، وجاء تفسير الجلباب عن الصحابة والتابعين وغيرهم من المفسرين بما يلي (٥) :

- ١- كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها ، وهو ثوب أكبر من الخمار .
- ٢- الرداء وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن .
- ٣- القناع فوق الخمار وهو قول ابن جبير .
- ٤- الأردية التي تستر من فوق إلى أسفل وهو قول ابن عباس .

(١) تيسير الكريم المنان للسعدي (٦٧١/١) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٩٧/٦ ح ٤١٠١) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٥٥٩) .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٠٧/١١) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (ط ٢ / ١٤١٥ هـ) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٠٩/٦ ح ٤٧٥٨ و ٤٧٥٩) .

(٥) انظر : جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٢١٦/١٩) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٣/١٤) ، الدر المنثور (٦٦١/٦) .

قال القرطبي : " والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن " (١) .

ومن هنا يتبين أن ما كان ساتراً لجميع البدن فهو بمثابة الجلباب ، وهو يختلف عن الخمار ، الذي جاء ذكره في قوله تعالى : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) (النور ٣١) ، الخمر : جمع الخمار ، وهو ما تغطي به رأسها ؛ ومنه اختمرت المرأة وتخمرت ، وهو ما يستر الشعر والصدر والعنق والقرط (٢) .

إذاً المرأة المسلمة مأمورة بالحجاب الشرعي ، وهو عبارة عن خمار وجلباب ، الخمار تغطي به شعرها وصدرها وعنقها ، والجلباب يلبس فوق الخمار ويستر جميع البدن ، وبهذا يتحقق الست والحشمة دون غيره من الألبسة التي تفصل الجسم أو أجزاء من الجسم كالبنطال وغيره من اللباس الضيق .

أما **علة الحجاب** فهي في قوله تعالى : (ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذَيْنِ) : قال أبو حيان : " أي ذلك أولى أن يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن ولا يلقين بما يكرهن لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها بخلاف المتبرجة فإنها مطموع فيها " (٣)

فالحجاب صيانة للمرأة ، لئلا يتعرض لهن المنافقون والفسّاق بأذى بقول أو فعل ؛ لأنهم حين يروهن متسترات يعرفون أنهن حرائر عفيفات فلا يطمعون فيهن .

والحجاب للمرأة المسلمة أمر شرعي وأدب رباني ، تتمثل به العفيفة الكريمة ، فيزيدها جمالاً وكمالاً ، فالإسلام ينظر للمرأة على أنها كنز نفيس ومعدن غال ، فلهذا شرع أن تصان عن عبث يرخصها ، أو خداع يمس كرامتها ، وإن أجمل ما تكون المرأة إذا كانت ذات دين وأخلاق ، حتى ولو كان نصيبها من الجمال متواضعاً ، وإن أقبح ما تكون المرأة حين تتبدل وترخص ، وحينما يشاع عنها في مجتمعها ما يחדش الشرف ، هناك تشمئز منها النفوس ، ولو كانت ملكة جمال العالم . (٤)

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٣/١٤)

(٢) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (٣٤/٦) دار طيبة للنشر (ط٤/١٧٤١٧هـ) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٠/١٢)

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٢٥٠/٧) .

(٤) انظر : من لطائف التفسير للشيخ أحمد فرح عقيلان (١٥٨/٣) ، دار اليقين - مصر ، ط١٤١٩هـ .

ثانياً : أدب الخطاب مع الرجال : ويتمثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ وفي الآية عدة آداب وضوابط مهمة ، في أدب مخاطبة الرجال للنساء استعرضها فيما يلي^(١) :

١ - الخطاب بين الرجال والنساء يكون بحاجة :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا ﴾ هذه الآية حددت ضابط الحديث وهو السؤال ونحوه ، فقيد الجواز بالحاجة ، وهو إقرار ضمني من الشارع بذلك ، قال القرطبي : " في هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهم من وراء حجاب، في حاجة تعرض، أو مسألة يستفتين فيها "^(٢).

فليس مجرد حديث أو سؤال بلا حاجة ، أو للتبسط والاستئناس ، قال ابن عاشور في الآية : " عطف على جملة (لا تدخلوا بيوت النبي) فهي زيادة بيان للنهي عن دخول البيوت النبوية وتحديد لمقدار الضرورة التي تدعو إلى دخولها أو الوقوف بأبوابها"^(٣). والضمير في (سألتموهن) يعود إلى أزواج النبي ﷺ رضي الله عنهن ، ولم يسبق لمن ذكر في الآية ، لكن سبق ذكر النهي عن دخول بيوت النبي ﷺ وهن في هذه البيوت .^(٤) وفي هذا الإضمار إشارة دقيقة إلى صيانة النساء وحفظهن ، وأن الأصل في حالهن الاستتار والخفاء . والخطاب وإن كان لنساء النبي ﷺ رضي الله عنهن ، فيدخل فيه جميع النساء بالمعنى ، ويقال فيه ما قيل سابقاً : " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " .

٢ - الخطاب يكون من وراء حجاب : والحجاب على نوعين:^(٥)

(١) انظر : زبدة الآداب من آية الحجاب / د أميرة بنت علي الصاعدي ص ٢٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٧/١٤) .

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣١٣/٢١) .

(٤) انظر : منحة الكريم الوهاب في تفسير آيات الأحكام في سورة الأحزاب للاحم ص ١٨٠ ، دار العاصمة - بيروت ، ط١/١٤٢٦ هـ .

(٥) انظر : منحة الكريم الوهاب للاحم ص ١٨٠ ، والدلالة المحكمة لآية الحجاب على وجوب تغطية الوجه ، لطف الله خوجة

<http://www.saaaid.net/Doat/khojah/26.htm>

الأول: إذا كن في بيوتهن، فالحجاب حينئذ: ستار، أو جدار، أو باب ، منفصل وغير متصل بهن يفصل بينهم وبينهن ، ويجول دون رؤيتهن ، والآية جاءت في هذا السياق. قال الطبري في تفسير: {من وراء حجاب} : " أي من وراء ستر بينكم وبينهن ، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن " (١).

الثاني: إذا كن خارج البيوت، فالحجاب حينئذ حجاب البدن بالجلباب، الذي يغطي سائر البدن، بدون استثناء شيء. وباعتبار المعنى الأول فإن المقصود هو المباحة بين الرجال والنساء ، وعدم الاختلاط بينهم ، وعدم الدخول عليهن ، وفي هذا حكمٌ عظيم ، ومعانٍ سامية ، وحفاظاً على الحرمات والخصوصيات، حيث أن سورة الأحزاب رسمت لنا منهجاً مهماً في العفة والحياء وأدب الخطاب مع الرجال ، ووضعت التدابير الواقية لدرء الفتنة بين الجنسين ، وفرضت الحجاب بجميع معانيه الحسية والمعنوية ، وكل ذلك من البناء الوقائي للمجتمع المسلم ، ومن الضوابط الضرورية لطهارة المجتمعات.

٣- الحكمة من سؤالهن من وراء حجاب :

جاء الحكم في الآية معللاً بقوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ وتعليل الأحكام للاطمئنان وزيادة الإيمان ، أي " أن ذلك أنقى للريية ، وأبعد للتهمة ، وأقوى في الحماية (٢). و " أظهر " على وزن أفعل اسم تفضيل أي : أبلغ في طهارة قلوبكم وقلوبهن ، وأنقى وأسلم وأبعد عن الفتنة والشر ، إذ لا عصمة في هذا الباب إلا للرسول عليهم السلام فهم المعصومون من الفواحش ومقدماتها ودواعيها (٣). والآية فيها أدب الخطاب من وراء حجاب ، فجاء هذا التعليل مؤكداً المحافظة على طهارة القلوب ، وقطع دابر الفتنة ، فالناس تتفاوت خواطرهم وظنونهم وضمايرهم ، وفي ذلك سدٌ لكثير من أبواب الشر وذرائع الفساد .

(١) جامع البيان للطبري (١٠/٣٢٥) .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/٦١٦) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١٤٠٨/١ هـ.

(٣) منحة الكرم الوهاب، اللاحم ص ١٨١ .

المحور الثالث : شخصية المرأة الفكرية . (الاختيار والإرادة وفق شرع الله)

حرص الإسلام على تنمية شخصية المرأة المسلمة ، والارتقاء بفكرها ، وفق تربية إيمانية متكاملة ، وتحفيز تفكيرها الإبداعي ، ليكون لديها القدرة العالية على حل المشكلات ، واختيار ما يلائمها من القرارات المصيرية ، وبمنحها استقلالية في التفكير ، تعينها على نبذ التقليد ، وإعمال الفكر فيما ينفعه ويعود عليه بالمصلحة ، "وقد أمر الإسلام بإعمال العقل وإطلاقه من عقاله ومنحه مساحة كبيرة من حرية التفكير لأن في ذلك منفعة للأمة وزيادة في تقدمها وتطورها وارتقاءها في العلوم والمعارف لأن العقول المعطلة تبقى ميتة لا نفع فيها، لذا حرص الإسلام على إطلاق تفكير الإنسان منذ نعومة أظفاره ونعى على أولئك الذين يتقيدون في التفكير بحدود ما وصل إليه أسلافهم، أو يقيدون عقولهم بعقول آخرين ربما كانوا أضعف منهم ملكة في التفكير؛ قال تعالى { قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } (المائدة ١٠٤) ^(١) ، ومن خلال تأمل سورة الأحزاب نلاحظ عناية القرآن بتنمية فكر المرأة ، من خلال حثها على الاختيار وقوة الإرادة ، التي تعينها على استسهال الصعاب والوصول إلى المعالي ، ويتجلي ذلك في ما يلي :

١- قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا

جَمِيلًا وَإِن كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) الأحزاب ٢٨ .

جاء في قصة هذه الآيات ، ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه، قالت: فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إني ذاكرك أمراً فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك - وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه - قالت: ثم قال: «إن

^(١) بناء الشخصية الإبداعية في الإسلام ، د. محفوظ ولد خيرى

الله تعالى قال: { يا أيها النبي قل لأزواجك } إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي ، فأني أريد الله ورسوله والدار الآخرة" (١) ، وفي القصة عدة فوائد نستنبطها ، وفيها تربية للمرأة المسلمة من عدة نواحي (٢) :

- طريقة النبي صلى الله عليه و سلم في التعامل مع زوجاته ، حيث كان يخاطب العقول ، و يصوغ القناعات ، و يوجه الاهتمامات و التصورات ، وهذا يساهم في إدارة الأزمات وحل المشكلات ، كما أنه صلى الله عليه وسلم ترك لمن المجال في الاختيار ، بدون تدخل منه أو تأثير ، وفي ذلك بناء لشخصية المسلمة لاختيار قراراتها ، وفق معايير شرعية واضحة .

- الخيار مطروح للمرأة بين الدنيا والآخرة ان اختارت الدنيا وزينتها وكفرت باليوم الآخر فعليها ما تولت من أوزار الحضارة المادية تكون لعبتها ودميتها وهي في الآخرة من الخاسرين، وإن هي اختارت الآخرة فلها نصيبها من الدنيا وللرجل نصيبه منها في كنف العفة والطهارة والمحبة والتآزر والتعاون على تعب الرحيل والعبور إلى دار البقاء .

- تعزيز مبدأ الاستشارة و عدم التعجل في اتخاذ القرار و تربيته ، وخاصة في الأمور الحياتية الهامة .

فالآية تحدد أهمية التفكير في المصير ، والاختيار السليم المبني على تقديم قيم الآخرة على قيم الدنيا ، وحين يتيح الإسلام حرية الاختيار والإرادة للمسلمة ، يحملها مسؤولية اختيارها وقرارها ، وما يتبع ذلك من جزاء وثواب ، ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (الإسراء ١٥) .

ومن مبادئ الإسلام أن الإرادة والاختيار لها دور في محاسبة العبد على عمله ، فإن كان قاصداً نواياً مختاراً فيحاسب على عمله ، أما إن كانت مجرد خواطر وحديث نفس فلا يحاسب ولا يؤاخذ بها ، لذلك نفى الله تعالى ما يترتب على المسؤولية من جزاء، إذا كانت الأعمال بدون إرادة ونية وقصد ، وهذا ما يفيد قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ ﴾ (البقرة ٢٢٥) .

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/١٣٣ ح ٢٤٦٨) ، ومسلم في صحيحه (٢/١١٠٣ ح ١٤٧٥) .

(٢) انظر : مقال آيات التخيير تربية و تذكير / فرحان العطار <https://saaid.net/Minute/261.htm> ، أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وامتحان التخيير / سعاد عدني <https://www.mouminate.net/2015/04>

٢- قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (الأحزاب ٣٦) .

سبق تقرير أهمية التفكير والاختيار في القرارات الحياتية ، وعناية القرآن ببناء الشخصية المسلمة التي لديها اختيار وقوة إرادة وفق المعايير الشرعية ، وهنا في هذه الآية بيان حدود الاختيار ، وتعظيم أوامر الله ، فإذا جاء الأمر من الخالق فلا مجال للاختيار ، بل يجب الامتثال والقبول والرضا ، قال الشيخ السعدي : " لا ينبغي ولا يليق بمن اتصف بالإيمان ، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله ، والهرب من سخط الله ورسوله ، وامتثال أمرهما ، واجتناب نهيهما ، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً من الأمور ، وحتماً به وألزماً به أن يكون لهم الخيرة من أمرهم أي: الخيار ، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة ، أن الرسول أولى به من نفسه ، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجاً بينه وبين أمر الله ورسوله " (١) .

والمرأة المسلمة ذات الرأي السليم والاختيار الموفق ، لا بد أن يكون رأيها تبعاً لأمر الله ورسوله ، واختيارها تبعاً لاختيار الله ورسوله ، ومما يعينها على ذلك صفة الإيمان التي تتحلى بها (ولا مؤمنة) ، وحذر الله من معصية الله ورسوله ومخالفتها ، " ومن خالفهما في شيء فقد ضل ضلالاً مبيناً ؛ لأن الله هو المقصد والنبي هو الهادي الموصل ، فمن ترك المقصد ولم يسمع قول الهادي فهو ضال قطعاً . " (٢) .

ولا شك أن المرأة المسلمة تعترضها في حياتها مستجدات ومشكلات ، خاصة من تعيش في بيئة الغرب ، وبما أنها مؤمنة بالله ، ذات شخصية قوية الإدارة ، عليها أن تعرض أمرها على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن وجدت الحكم الشرعي وجب عليها الامتثال والاتباع ، " فإن ردت وامتنعت عن القبول فهذا ضلال كفر ، وإن قبلت الأمر واعتقدت الوجوب ، ولكنها عصت فعلاً ، فهذا ضلال خطأ وفسق " (٣) .

ومما ابتلينا فيه في هذا العصر ، أعمال العقل والرأي في حكم الله ورسوله ، ومن مقتضيات الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، عدم تقديم قول أحد من البشر على قولهما وحكمهما ، وهذا لا ينافي حرية الاختيار والإرادة التي يخرسها الإسلام في نفوس المسلمين ، فبينهما علاقة تلازم وتكامل ، فالإرادة الفاعلة ينتج عنها مسئولية مثمرة ، وحرية العقل تتبع الوحي ، ولا تناقض بين العقل والنقل ، إذا صدر من مشكاة النبوة .

(١) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٦٦٥) .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٢٥/١٦٩) ، دار إحياء التراث - بيروت ، ط ٣/١٤٢٠هـ .

(٣) انظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٣/٣٢) ، دار الكلم الطيب - بيروت ، ط ١/١٤١٩هـ .

النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين ، وأتم لنا النعمة ، والذي شرع لنا ما يصلح حياتنا ، ويقيم جميع أمرنا ، وإن من جميل عنايته ورعايته الاهتمام بالمرأة المسلمة ، وبناء شخصيتها من جميع النواحي ، ومن خلال معاينة الواقع الذي تعيشه المسلمة في الغرب ، نجد أنها تواجه تحديات ومشكلات كبيرة ، ربما تهدد إيمانها وهويتها الإسلامية ، ومن خلال هذا البحث تم التوصل إلى النتائج التالية :

- ١- مما تميزت به سورة الأحزاب العناية بالمرأة المسلمة من جميع الجوانب : الإيمانية والاجتماعية والفكرية ، مما يؤهلها للقيام بدورها الإصلاحي في الأسرة والمجتمع ، ومما يدل على أهمية رعاية هذا الدور التشاركي ، بالضوابط الشرعية التي تجنبها الفتن والشهوات ، وتحفظها من الشبهات المعاصرة .
- ٢- في زمن اختلاط المفاهيم ، وانتكاس الفطر والأخلاق ، لا بد من العناية ببناء الشخصية الإسلامية ، وهذا البناء يحتاج إلى أساس وقاعدة صلبة ، تبدأ من الإسلام ، فالإسلام هو صبغة الله ، التي تصبغ المسلم بصبغة خاصة ، تظهر في عقيدته وعبادته وسلوكه ، وتميزه عن غيره من البشر .
- ٣- العناية بالجانب الإيماني في الشخصية الإسلامية ، يعد من أهم الجوانب ، وأولها ، وسورة الأحزاب المدنية ، من السور التي اعتنت بشخصية المرأة الإيمانية ، من خلال التوجيهات والأوامر والنواهي التي اشتملت عليها السورة ، وتتلخص فيما يلي : الأمر بالتقوى ، والعناية بالقلب واعتقاده ، والأمر بالتكاليف الشرعية (الصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله) ، والحث على الاتصاف بكمال الأعمال وجمال الأخلاق ،
- ٤- العناية بالجانب الاجتماعي في الشخصية الإسلامية ، أمر يستحق الاهتمام ، لأن الإنسان اجتماعي بطبعه ، وحتى تتخطى المؤمنة العقبات والمشكلات ، في حياتها الاجتماعية والعملية ، تحتاج إلى ضوابط شرعية ، والحذر من مواطن الشبهات ، وقد ساهمت سورة الأحزاب ، في الحفاظ على هوية المسلمة في بلاد الغرب ، من خلال بيان منهج المرأة المسلمة في حجابها وخطابها مع الرجال ، والأمور المعينة على ذلك ، كقرارها في بيتها ، وعدم التبرج ، وتزودها من العبادات التي تسهم في ثبات أمرها ، وطهارة قلبها .
- العناية بالجانب الفكري لدى المرأة المسلمة ، مما يعين على مواجهة التحديات الفكرية ، والنجاة من الشبهات ، ومن خلال تأمل سورة الأحزاب نلاحظ عناية القرآن بتنمية فكر المرأة ، من خلال حثها على الاختيار وقوة الإرادة ، التي تعينها على استسهال الصعاب والوصول إلى المعالي ، ويتجلى ذلك في ما يلي : تعزيز مبدأ

الاستشارة و عدم التعجل في اتخاذ القرار و تبنيه ، وخاصة في الأمور الحياتية الهامة ، وأهمية التفكير في المصير ، والاختيار السليم المبني على تقديم قيم الآخرة على قيم الدنيا ، وحين يتيح الإسلام حرية الاختيار والإرادة للمسلمة ، يحملها مسؤولية اختيارها وقرارها ، وما يتبع ذلك من جزاء وثواب . ولا شك أن المرأة المسلمة تعترضها في حياتها مستجدات ومشكلات ، خاصة من تعيش في بيئة الغرب ، وبما أنها مؤمنة بالله ، ذات شخصية قوية الإدارة ، عليها أن تعرض أمرها على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن وجدت الحكم الشرعي وجب عليها الامتثال والاتباع .

التوصيات :

أوصي في نهاية هذا البحث بأهمية العناية بالمرأة المسلمة ، وإبراز مكانتها وتكريم الإسلام لها ، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية ، وتخصيص مؤتمر لذلك ، وإلقاء الضوء على حياة المرأة في الإسلام ، وتميزها في جميع المجالات ، وإبراز النموذج الصحيح المشرق للمرأة المسلمة الملتزمة بدينها وعقيدها ، في خضم حملات التشويه التي تتعرض لها المرأة في الإسلام ، واتهامه بالظلم ومصادرة حريتها ، والإسلام بريء من ذلك ، ناصع صفحاته ، ومشرق بعدله وإحسانه . وفي ختام هذا البحث أسأل الله القبول والسداد ، وأن يصلح العباد والبلاد ، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى ، وأن ينفعنا وينفع بنا ، وأن يبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار .

المراجع

- ١- أحكام القرآن لابن العربي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١/١٤٠٨ هـ.
- ٢- بعض معالم المجتمع من سورة الأحزاب ، عبد الوهاب الديلمي ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ، ١٣٩٧ هـ .
- ٣- بناء الشخصية الإبداعية في الإسلام ، د. محفوظ ولد خيرى <http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=193660>
- ٤- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، دار الهداية .
- ٥- التحرير والتنوير لابن عاشور ، الدار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤ م
- ٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ، دار إحياء التراث - بيروت ، ط ٤/١٤٠٥ هـ
- ٧- التفسير الكبير (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي ، دار إحياء التراث العربي .
- ٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ، وزارة عموم الأوقاف الإسلامية - المغرب ، ١٣٨٧ هـ .
- ٩- تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان للسعدي ، مؤسسة الرسالة (ط ١/١٤٢٠ هـ)
- ١٠- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ، مصطفى الحلبي - القاهرة ، ط ٢/١٣٧٣ هـ .
- ١١- الجامع الكبير للترمذي ، تحقيق بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ١٩٩٨ م .
- ١٢- الجامع المسند الصحيح للبخاري ، تحقيق : د مصطفى البغا، دمشق، ط ٣، دار ابن كثير، ١٤٠٧ هـ،
- ١٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط ٢ / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م
- ١٤- الدر المنثور للسيوطي ، دار الفكر - بيروت .
- ١٥- دراسة النظم القرآني في سورة الأحزاب ، حسن عثمان يوسف عدوان ، نسخة الكترونية
- ١٦- الدلالة المحكمة لآية الحجاب على وجوب تغطية الوجه ، لطف الله خوجة ، نسخة الكترونية .
- ١٧- زبدة الآداب من آية الحجاب / د أميرة بنت علي الصاعدي ص ٢٤ ، بحث محكم .
- ١٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصَّحِيحَة) للألباني ، مكتبة المعارف ، ١٤١٥ هـ .

- ١٩- السنن أبو داود السجستاني ، تحقيق :عزت الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث - بيروت ، ط١/١٣٨٨ هـ .
- ٢٠- سورة الأحزاب عرض وتفسير د. مصطفى زيد ، دار الفكر العربي - ط١/١٣٨٩ هـ .
- ٢١- صحيح سنن أبي داود للألباني ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت ، ط١/١٤٢٣ هـ .
- ٢٢- الصحيح الجامع لمسلم بن الحجاج القشيري ، ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت، دار إحياء التراث العربي .
- ٢٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود لابن القيم ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (ط٢ / ١٤١٥ هـ)
- ٢٤- المخرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١/١٤٢٢ هـ ،
- ٢٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط٣/١٤١٦ هـ
- ٢٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ، دار الكلم الطيب - بيروت ، ط ١ / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٣ م
- ٢٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبعوي دار طيبة للنشر (ط٤/١٤١٧ هـ)
- ٢٨- معالم السنن للخطابي ، المطبعة العلمية - حلب ، ط ١ / ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .
- ٢٩- معالم الشخصية الإسلامية / د عمر الأشقر ، نسخة الكترونية .
- ٣٠- معالم المجتمع الإسلامي في سورة الأحزاب <https://rajulunkarim.wordpress.com>
- ٣١- مفاتيح الغيب للرازي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت (ط٣/١٤٢٠ هـ)
- ٣٢- مقال : أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وامتحان التخيير / سعاد عدني
[/https://www.mouminate.net](https://www.mouminate.net/)
- ٣٣- مقال : آيات التخيير تربية و تذكير / فرحان العطار <https://saaid.net/Minute/261.htm>
- ٣٤- من لطائف التفسير للشيخ أحمد فرح عقيلان ، دار اليقين - مصر ، ط١/١٤١٩ هـ .
- ٣٥- منحة الكريم الوهاب في تفسير آيات الأحكام في سورة الأحزاب للاحم ، دار العاصمة - بيروت ، ط١/١٤٢٦ هـ .
- ٣٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة .
- ٣٧- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢	المقدمة
٣	التمهيد
٤	أهم مقاصد ومواضيع سورة الأحزاب
٤	معالم الشخصية الإسلامية
٥	المحور الأول : شخصية المرأة الإيمانية .
١٠	المحور الثاني : شخصية المرأة الاجتماعية .
١٤	المحور الثالث : شخصية المرأة الفكرية .
١٨	النتائج والتوصيات
١٩	المراجع
٢١	الفهرس